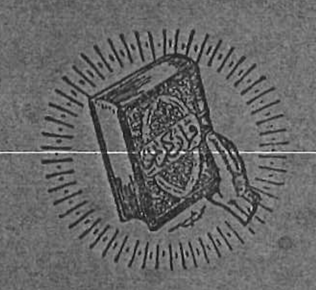
مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق



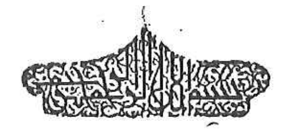
من مذكراتي في الحج

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

الثمن ٢٥ قرشاً سورياً

مطبعة الترقي بدمشق





موسم الحج من عام ١٣٧٣ كلفتني وزاره الداخلية أن أرأس بعثة الحج للباخرة الرابعة (أنشون) . . .

وأولى ملاحظاتي أنه ما كاد القطار يهم بالمسير حتى أذن المؤذن ، ولم أجد في السنة الشريفة شيئاً من ذلك ، وكم كان يجدر بمديرية الأوقاف أن تودع الحجيج بنصائح دينية توجيهية عن هذه الرحلة المقدسة العظيمة ، وتزودهم بنشرات عملية بهذا الشأن ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فيذهب الحجاج كل عام ، واغلبهم كالغنم بدون راع ، يروحون ويعودون بعد أداء بعض أغراض الحج المألوفة ، أما الأغراض السياسية والاجتماعية ، فهيهات أن تخطر لهم على بال ، مع أن الآية الكريمة قد أشارت إلى هذه الأغراض بصورة صريحة قدمتها على ذكر الله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله . . . »

وايم الله لو عرف المسلمون كيف يستفيدون من الحج وموسمه لاستطاعوا حلّ جميع مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولهابهم الأعداء ، ولكنهم ـ وياللاسف ـ مسخوا دينهم وأهملوا جوهره .

الحج هو الركن الاسلامي الذي يعلم المسلمين أنه لاحدود بينهم وأن لهم وطناً روحياً مشتركاً هو الحجاز حيث انبثق نور الاسلام ، فملأ الدنيا رحمة وعدلاً وسلاماً ، فيأخذون من هذه الذكرى دروساً في البطولات والمساواة والوحدة .

الحج ، ياله من مؤتمر عالمي يحسد المسلمين عليه جميعُ أصحاب الديانات والمذاهب الذين

حاولوا عقد مثله في كل حين من الزمن بمحاولات مختلفة وأنفقوا من أجل الدعاية له ملايين الليرات ، فجاء باهتاً ممسوخاً وما بلغوا من مثل الحج غاية .

* * *

وقد وزعت على الحجاج في القطار بعض النشرات التي طبعتها جمعية التمدن الاسلامي لهذا الغرض ، وألقى كثير منا كلمات توجيهية عن الحج وآدابه في أكثر المحطات حيث كان يقف القطار .

وكنت أعتقد البراءة والأمانة في كل من ضم عقده هذه الرحلة ، ولكن اختفت بعض أمتعتي بسبب هذا الاعتقاد الخاطيء . وفاتني أن المفسدين يجدون في مثل هذا المزدحم سوقاً ، وإن المفسد قد يدخل المسجد ويخادع بالصلاة وما هو من أهلها . وعبثاً بحثت عنها ، وكان من تفريطي أن نسيت المثل العربي القائل (سوء الظن عصمة) ونزلنا لنركب السيارات حيث وقف بنا الخط الحجازي على مسافة ثمانين كيلو متراً تقريباً من العقبة التي اقتلع الانجليز خطها في الحرب الثانية ووجهوها في وجوههم وقطعوا بذلك طريق الخط الحجازي .

امتطينا الباخرة « أنشون » التي كانت تنتظرنا في ميناء العقبة واستقبلنا المتعهد الشهم حسن البحري أحسن استقبال ، وأكرم مثوانا ، وكان شديد السهر على جميع الحجاج وخاصة العلماء منهم .

ومن أندر ماحدث معنا في هذه الباخرة أننا شاهدنا جماعة من الأعاجم يندفعون بالذكر على طريقة مبتدعة فأدرك الأستاذ الفاضل الشيخ صلاح الدين الزعيم غرضنا وخشي تأزم الموقف ، فأسرع إلى هذه الحلقة وكان محرماً ووقف بين أصحابها يلبي بصوت عال معيداً ومكرراً : لبيك اللهم لبيك « لبيك لاشريك لك لبيك . فاستغربوا عمله باديء الامر ثم نسوا ماهم عليه من الذكر وأخذوا يلبون معه . . فأدركنا ضرورة الحكمة للدعوة السلفية وان الرفق سيد الأخلاق .

* * *

لقد وجدت الباخرة موضعاً خصباً للاتصال (بالشخصيات) الاسلامية الآتين من مختلف الأقطار فألقيت عليهم وعلى سائر الحجاج كلمة من إذاعة الباخرة هذا نصها :

إخواني وأخواتي الحجاج :

هل تدرون إلى أين أنتم سائرون ؟

أتدرون إلى أين أنتم متوجهون ؟

إلى الله أيها الإخوان والأخوات ، فقد تركنا أهلنا وبلدنا إلى وطننا الروحي وطن محمد ﷺ إذ نشاهد البلاد التي سطع منها النور الأول ، نور الإسلام ، ذلك الدين العظيم الذي أنقذنا الله بفضله من الظلمات إلى النور ، وجعلنا إخوانا بعد ما كنا على شفا حفرة من الخلاف والنار .

نحن عما قريب سنحرم لنتعلم دروساً في البساطة بعد ما أهلكنا التكلف ، وما يسببه من تبذير وتفريط ، ولنتعلم دروس المساواة بعد ما فرقتنا الطبقية والكبرياء .

هنا في بلاد المجد والعظمة نطوف حول الكعبة داعين ، والطواف رمز وإشارة إلى أننا مع الله على الدوام نطوف حول بيته ولا نرضى بغير دينه تشريعاً ولا تنظيماً .

ثم نسعى بين الصفا والمروة : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » . نسعى بينها نسرع حيناً ونبطيء حيناً لا للتكالب على الدنيا والانهماك في جمع الأموال وسلب حقوق الشعوب ، بل نسعى استسلاماً لأمر الله تعالى وإرضاء لوجهه ، واعترافاً بفضل السعي والعمل كما سعى اسماعيل عليه السلام ، وبدون هذا العمل لا حياة ولاقوة ولا مجد ، فلا نامت أعين الكسالى والمتواكلين الذين يظنون أن استسلامهم من الاسلام ، والاسلام بريء منهم .

ثم نذهب إلى عرفات حيث تتصل الأرض بالسماء ، وتضيع الحدود والمسافات فتجتمع باكستان واندونسيا وبلاد العرب وتركيا وإيران وغيرها من الأقطار الإسلامية في صعيد واحد يرفعون أصواتهم بالتلبية ، ثم يتذاكرون ويتشاورون ويتعاونون .

ياللحج من مؤتمر إسلامي عظيم جمع فوائد الدين والدنيا ، وقد حسدتنا بعض الدول الغربية عليه فحاولت إنشاء مؤتمرات مزيفة عالمية فأخفقت .

لقد أهملنا نحن المسلمين أهداف الحج فضاعت علينا أغلب فوائده ، فما أحوجنا الرجوع إلى الإسلام الصحيح لنجني ثمراته كما جنى أسلافنا ففتحوا العالم ومدنوا الانسانية .

ثم نذهب إلى المزدلفة فمنى لنلتقي الحجرات ، وهذا الرمي يتكرر مراراً لتقوي فينا فكرة محاربة الشيطان وسائر قوى الباطل والطغيان .

ثم ينحر الحاج ، والنحر يذكرنا بقصة أبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح ابنه تنفيذاً لأمر الله سبحانه في الرؤيا ورؤياء الأنبياء حق ، فقبل ابنه اسماعيل عليهما السلام مادام الأمر صادراً عن المولى تعالى : « فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاءالله من الصابرين».

ألا فاسمعوا أيها المسلمين والمسلمات كيف تكون طاعة الله والصبر عليها ، ألا فاسمعوا كيف يكون الابتلاء ، وكيف تكون التضحية في سبيل المبدأ والعقيدة .

ثم يتوجه الحجيج إلى المدينة المنورة بعد طواف الافاضة والوداع ، حيث مسجد النبي محمد عليه السلام الذي فجّرت جبال الحجاز القاحلة حكمة ونوراً وقوة ومدنية .

ياللعجب ! كيف انقلبت هذه الديار من الشقاء والجدب إلى السعادة والخصب ؟

كيف استطاع الاسلام تحويل العرب من الجهل إلى العلم ومن الذل إلى المجد ؟ ففتحوا العالم وقضوا على امبراطوريتين عظيمتين كانتا تضطهدان الشعوب وتسومانهم سوء العذاب . . .

الحق إنه لا عجب ، فإن للاسلام قوة وللاسلام سراً عجيباً جربناه في القديم فأتى بأحسن النتائج .

هذا هو الدين الذي يجب الرجوع إليه ، هذا هو القرآن الدستور العظيم الذي أرسله الله تعالى لنحتكم إليه ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »

وهل وجدتم أكفر ممن يترك تشريعاً شهد بعظمته مفكرو الغرب وجربه العرب في القديم فأعزهم بعد ذل ونصرهم بعد استعباد ، ثم يلجأ إلى قوانين وضعية من آثار وثنية الرومان ؟ كانت سبباً في زيادة الجرائم في البلاد !

ما رأيكم ياقوم ! بتشريع يقول للسارق الذي يعكر الأمن والسلام :

مرحباً بك أيها المجرم إنك ستكون في ضيافة الدولة شهوراً أو سنوات تطعمك وتسقيك ، فتعيش في راحة ما بعدها راحة تتلقى خلالها تتمة دروس الجريمة من زملائك السجناء .

هذا ما يفعله قانون العقوبات الوضعي ، فهل أدركتم بعدها سر انتشار الجرائم .

إن الاسلام الصحيح ، الاسلام التقدمي على مر الأزمان ما دخل بلاداً إلا نشر فيها العدل والسلام والطمأنينة وجعل أذلة أهلها أعزه .

إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات :

تعلمون أن المسلمين فتحوا الأندلس ثم حاولوا فتح فرانسا حتى أتوا على منتصفها ، ولكن القائد الاسلامي عبد الرحمن الغافقي استشهد في معركة بواتية فتراجع الجيش إلى الأندلس .

ولكن هل تدرون أن من عظماء فرانسا وأدبائها من أخذوا يأسفون اليوم على انكسار المسلمين وتراجعهم عن بلادهم وقالوا : « إن رجوع الجيش الإسلامي عن أراضي فرانسا أخر المدنية عدة قرون إلى الوراء . »

هذا هو المجد . والحق ماشهدت به الأعداء .

أيها المسلمون والمسلمات !

ليعد كل منا إلى البلاد وهو يحمل الرسالة المحمدية من جديد تشع بالنار والنور ، النار التي تحرق الطغاة والمستعمرين،والنور الذي يضيء طريق السعادة والمدنية إلى الناس اجمعين.

قولوا للرسول العظيم إذا أتيتم قبره :

السلام عليك يارسول الله ! يامن علمتنا بناء المجد وفتحت لنا طريق العظمة ورسمت لنا سبيل المدنية .

وعلمتنا قول ربك : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » كما علمتنا أيضاً قوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

يارسول الله ! لقد أهملنا هذه المبادىء الجبارة فأصبحنا متأخرين تتهافت علينا الأمم من كل جانب .

أللهم ألف بين قلوبنا واجمع كلمة المسلمين على الخير والقوة . وألهم ملوك ورؤساء المسلمين والعرب تحقيق الدولة الاسلامية التي لا حياة لنا ولا قوة إلا عن طريقها وطريق الرجوع إلى رسولنا محمد وقرآن محمد !

إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات !

إن معظم الرجال المسؤولين في البلاد العربية والاسلامية أبعد الناس عن فكرة الوحدة الاسلامية والعربية وذلك خوفاً على كراسيهم وامتيازاتهم وشهواتهم .

لقد رأينا في جامعة الدول العربية أكبر البراهين على ما أقول .

إن الوحدة العربية والاسلامية لايمكن تحقيقها على أيدي الرؤساء بل عن طريق الشعوب ووعيها وقوتها ما دامت هي وحدها تقاسى آلام التفرقة وذلها .

سامح الله الشعوب الاسلامية والعربية فهي غارقة في نومها ، وإلا فمتى عرف عنها أن يعبث بحقوقها أفراد قلائل لهم غاياتهم الذاتية ؟

نريد من الوفود الاسلامية في مؤتمر الحج أن تعود إلى بلادها ، وقد أخذت من محمد عليه السلام ومن أصحابه روح النضال والوعي ، فان أعظم الجهاد كلمة حق تقال أمام سلطان جائر !

أيها المسلمون !

إنه ليؤسفني ألا يصل كلامي إلى جميع المسلمين الموجودين معنا على ظهر الباخرة من أتراك وباكستانيين وأندونسيين وإيرانيين وصينيين وغيرهم ، وذلك بسبب جهلهم للغة العربية الحبيبة التي لايمكن تحقيق دولة الاسلام بدونها .

قد يقول أولئك الحجاج من غير العرب : نحن معذورون بسبب بعدنا عن العرب .

كلا أيها الإخوان الأعاجم ! لا عذر لكم ما دامت اللغة العربية لغة قرآنكم ، ولا يمكن أن يفهم الاسلام بدونها .

هل تريدون أن يكون الصهيونيون أوعى منكم ؟ فان كلاً منهم يعرف إلى جانب لغته القومية لغة دينه العبرية ، على الرغم من الاضطهاد والتعذيب والذل الذي لاقوه منذ القرون ، حتى إذا اجتمعوا في فلسطين – وطننا السليب – تفاهموا بسبب اللغة الواحدة واتحدوا .
ولولا اللغة لماتم لهم تحقيق ما أرادوا .

إخواني الحجاج من غير العرب !

تعلموا اللغة العربية وأجبروا حكوماتكم على تعليمها لكم ولأولادكم في المدارس إن كنتم تريدون فهم الاسلام جيداً وتحقيق الوحدة الاسلامية التي تتوقف عليها حياتنا وحياتكم وقوتنا وقوتكم

لقد اتصلت ببعض إخواني في قبرص فسألته عن حال اللغة العربية في بلاده فأجاب لاوجود لها ، ولا يعرفها أحد ، وأصبح جميع المسلمين يتقنون اللغة الانكليزية — لغة أعدائنا — ويوشك بعد هذا الجهل باللغة العربية أن يتنصروا ويالاأسف !

كما علمت من أحد الإخوان الأحباش أن ثلثي الحبشة مسلمون ولكنهم مضطهدون من الثلث الباقي لجهلهم باللغة العربية وعدم اتصالهم بالعالم العربي والاسلامي .

ثم ختمت خطابي بالدعاء للمسلمين أن يوحد شملهم ويجمع كلمتهم وينصرهم على أعدائهم

وفي المساء بعد إلقاء هذه الكلمة في الاذاعة دعوت – بالتعاون مع بعض الاخوان – الشخصيات الاسلامية الى مؤتمر على ظهر الباخرة (أنشون) حضره وفود من مصر وسورية وتركيا وايران وبعض اللاجئين من داغستان ، وأندونسيا و . . . وأحسن السيد حسن البحري وفادتهم وأغدق عليهم من الماء البارد اذ يعتبر أعظم ضيافة .

وقد تناول المؤتمر مباحث خطيرة وقرر المقررات الآتية وقد نشرت في صحيفة المنار (العدد ٧٩٧) بعنوان : « أول مؤتمر اسلامي عقد في عرض البحر . . » :

١ — حث الحكومات الاسلاميه على الاهتمام باللغة العربية ، فانه لايمكن تحقيق الجامعة الاسلامية بدون هذه اللغة . كما لا يمكن فهم الاسلام بدون معرفتها .

٢ — مطالبة هذه الحكومات بالاهتمام بالقضية الفلسطينية وخاصة تركيا التي لم تقتصر على إهمال القضية « بل راحت تتعاون مع إسرائيل بنطاق واسع مما يعتبر خيانه دينية !

٣ — حض الحكومات المذكورة على مؤازرة مشروع مد الخط الحجازي إلى المدينة المنورة .

٤ — حث هذه الحكومات الاسلامية على مساعدة الأقطار الاسلامية في حل مشكلاتها ومحاربتها للاستعمار وخاصة في المغرب العربي .

* * *

ونحن في الباخرة في طريقنا إلى جدة لبسنا الاحرام وتجردنا من ماديتنا وكبريائنا ودخلنا في عالم روحاني فيه التواضع وفيه المساواة والبساطة كما فيه العزة بالنفس والارتفاع بها عن العالم المادي إذ أوشكنا أن ندخل حدود وطننا الروحى والتفرغ للعبادة فلا رفث ولا جدال ولافسوق .

وصلنا إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة ، وقد طلب منا اختيار المطوف الذي نريده ، فانتقيت أحدهم على ما علمت من دعايته ، والغريب أن كل مطوف يقبل كل من يأتيه دون أن يحسب حساباً لهذه الكتل البشرية التي يلقي بها في قارعة طريق داره على التراب والوحل ، أو في أروقة المنزل المظلمة التي قد لا تصلح لايواء الدواب ! وكان مطوفنا يسقي الحجاج في براميل وسخة صدئة تعاف الشرب منها الحيوانات !

لا أدري من ذبح خروفاً عند هذا المطوف ، فبقيت أحشاؤه في إحدى زوايا بيته أكثر من يومين حيث كانت ملايين الذباب تتراكم عيها ، والروائح القبيحة تنتشر منها بصورة فظيعة ، وقد رجوت من هذا المطوف مراراً أن يعطي أمره لمن يلزم باخراج هذه الأحشاء من البيت ! ! فكان يصيح بخدمه لازالتها ، ولكن عبثاً يفعل ، فكأنما بينه وبين هؤلاء الخدم لغزاً بعدم تلبية طلبه ولو صاح وغضب وزمجر .

كم أتمنى لو تضاعف الحكومة السعودية من عدد المطوفين لتأمين راحة الحجاج ، كما أتمنى أن يكونوا على شيء من الثقافة الاسلامية الصحيحة حتى يستطيعوا توجيه الحجاج ، فان كثيراً منهم في الوقت الحاضر من العوام والحشويين والاستثماريين الذين بلغوا من الغنى الطبقي مبلغاً لم تعد نفوسهم معه تقدر على استيعابه !

ويحسن أن يكون لدى هؤلاء المطوفين بعض الممرضين الذين يعرفون الاسعافات الأولية والاشارات الصحية ، لأنه قد يموت عشرات الحجاج من جراء جهل أو اهمال بسيط !

واني أقترح أن تأمر الحكومة العربية السعودية كل مطوف أن يعمل قائمة بأسماء الحجاج النازلين عنده مع تجارته ومهنته ورغبة كل منهم ، ويطبع منها نسخاً بعدد المطوفين، يرسل لكل منهم نسخة ، كل ذلك بغية تعارف الحجاج وإمكان تعاونهم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ، فقد اتصلت ببعض تجار باكستان ، فذكروا أنهم يجلبون زيت الزيتون من فرانسا ـ عدوة الاسلام ـ بأثمان باهظة بينما يمكن جلبه لهم من سورية بأسعار رخيصة ، كما أن هذا التاجر حدثني أنهم يطعمون البامية للحيوانات ـ لما رآني قد أتيت بها بعلب الكونسروة من دمشق ـ بحجة كثرتها الفاحشة في بلادهم وعدم وجود أسواق لتصريفها مع إمكان تجفيفها أو حفظها في علب وإرسالها إلى جميع البلدان العربية والاسلامية

هذا مثال بسيط لبيان مدى ما يمكن للمسلمين من الاستفادة من موسم الحج .

بدت أمامنا الكعبة الشريفة بمظرها الرائع ، فغمرني الخشوع واستولى عليّ البكاء ، ودخلت المسجد الحرام لأول مرة حيث كان يعج بالمسلمين من مختلف أقطار الدنيا بثياب الاحرام التي تتجلى فيها الروعة بأسمى معانيها ، والمساواة بأجمل صورها ، فخيل إليّ كأن دولة الاسلام تحققت ، وكأننا في مؤتمر إسلامي كبير .

ولكن ـ ويا للأسف ـ إنها الآمال والأماني ، حيث ينقص هذا المؤتمر التنظيم واللغة المشتركة ، اللغة العربية التي أرادها الله سبحانه لتكون اللغة العالمية للناس جميعاً ، فقد كنا نتحادث بالاشارات ـ لغة الصم والبكم ـ .

* * *

يعترض بعضهم على تعذر إقامة دولة الاسلام بين جميع المسلمين بحجج واهية منها بعد المسافات بين الدول الاسلامية واختلاف هذه الدول بالعروق والعادات والأخلاق ، وتباينها بالآمال وعدم اتصالها بالحدود و . . .

ولما كان هذا الموضوع خطيراً فانني سأجيب عنه بشيء من التفصيل .

١ ـ أما بعد المسافات فانه لم يبق له قيمة بعد وجود وسائل النقل السريعة والرخيصة، فهذه انكلترا لم تحل هذه المسافات البعيدة بينها وبين مستعمراتها في آسيا وأمريكا وأفريقيا!

هذا ـ وقد كانت الوحدة الاسلامية حقيقة واقعية في سالف التاريخ على الرغم من صعوبة هذه المواصلات !

٢ ـ وأما اختلاف هذه الدول بالعروق والأجناس فقول ليس له وزن حيث أبطل الاسلام الادعاء بالعصبية والعرقية وجعل المؤمنين إخوة ، وأكرمهم إلى الله أتقاهم . وقديماً تمت هذه الوحدة مع وجود هذه العروق .

إن نظرية العرق والجنس والقومية من أسخف النظريات التي لا يمكن اثباتها وقد بطل مفعولها في العصر العشرين حيث تقوم المذاهب الديمقراطية والشيوعية على مبدأ من يؤمن بمبادئنا فهو منا . فهذا هو الاتحاد السوفياتي يضم عشرات الأجناس والعروق ، وهذا هو المعسكر الغربي جمع ما هب ودب من هذه الأجناس والعروق !

٣ ـ وأما القول باختلاف الدول الاسلامية بالعادات والأخلاق ، فقول مردود ،

فإن الاسلام – حتى يومنا هذا – قد وحد بين المسلمين في هذه العادات والأخلاق بسبب نظمه الشاملة حتى قال أحد علماء أوربا : إن المسلم الهندي أقرب منه إلى المسلم العربي من الوثني الهندي الذي عاش بجواره مئات السنين !

٤ – وأما القول باختلاف هذه الدول في الآمال فافتراء يكذبه مؤتمر الحج ! فإن وحدة هذه الآمال والغايات من أهم أغراض الدين الاسلامي التي يغذيها في معتنقيه ليل نهار ويجعل الاتحاد بينهم من أركان الدين التي يموت منكرها ميتة جاهلية !

٥ – وأما القول بعدم اتصال هذه الدول في الحدود فجهل جغرافي مريع ، فإن العالم الاسلامي يشكل وحدة جغرافية منقطعة النظير تتحكم على البحار العالمية وتملك جميع مقومات الاقتصاد .

ومهما كان من الادعاء فإن حكومة باكستان قد قامت وأصبحت حقيقة مع عدم الاتصال بين قسمها الغربي وقسمها الشرقي !

إن تحقيق دولة الاسلام يسير جداً وهو رهن بوعي الزعماء المسلمين ووثبة الشعوب المؤمنة .

هذا – ومن أجل تحقيق الجامعة الاسلامية وإيجاد التعارف والتعاون بين الأقطار الاسلامية كنت نشرت في مجلة التمدن الاسلامي بدمشق في الجزأين ٢٣ و ٢٤ من سنتها العشرين طائفة من الأسئلة وجهتها إلى مفكري العالم الاسلامي للاجابة عنها بغية جمع الأجوبة في كتاب ونشره بين المسلمين ، فلم أحصل إلا على أجوبة قليلة ، وهأنذا أنشرها مرة أخرى رجاء الاجابة عنها :

١ – عدد المسلمين في القطر النائي الذي أنت فيه وهل هم بازدياد أو نقص ، وما أسباب النقص بنظرك إن كان حاصلاً ؟

٢ – ثقافتهم ومبلغ تمسكهم بأوامر الاسلام .

٣ – مبلغ معرفتهم باللغة العربية .

٤ – هل لهم مدارس خاصة .

٥ – مجلاتهم وصحفهم وكتبهم .

٦ – هل هم متمتعون بحقوقهم السياسية والدينية ؟

٧ – مادرجة ارتباطهم بجيرانهم من المسلمين في البلاد المجاورة ؟

٨ – وصف أحوالهم المادية .

٩ – هل يفكر بعضهم بالهجرة ؟ وما هي الأسباب ؟ وإلى أي بلد يهاجرون ؟

١٠ – ما هي أهم الأزمات السياسية التي حدثت لديهم والتي تتعلق بهم ؟

١١ – ما هي درجة ارتباط المسلمين بعضهم ببعض ؟

١٢ – كيفية علاقتهم بمواطنيهم الذين لا يدينون بالاسلام ؟

١٣ – من أشهر علمائهم ورجال الفكر فيهم وما هي عناوينهم ؟

١٤ – موازنة بين حالتهم العامة الحاضرة والماضية .

١٥ – ماهي منتوجاتهم التي يمكن أن يصدروها ، والبلاد التي يمكن أن يتبادلوا معها التجارة وما هي الواردات التي يرغبون فيها ؟

١٦ – ما هي مطاليبهم من العالم الاسلامي ؟

١٧ – ما هي ملاحظاتهم الخاصة .

١٨ – هل بالامكان ارسال بعض الصور الفوتوغرافية عن مشاهد اخواننا المسلمين في بلدكم ؟

١٩ – ما هي أسماء الجمعيات والهيئات التي تعنى بمثل هذه الناحية وكيف يمكن الاتصال بها ؟

ونسأل الله تعالى أن يجمعنا تحت راية إسلامية موحدة لها قوتها وحضارتها وتسامحها .

* * *

طفت حول الكعبة طواف القدوم ، وبعد هذا الطواف سعيت بين الصفا والمروة ، وقد أصبح هذا المسعى – ويا للأسف – سوقاً فيها الضجيج وفيها الغوغاء ، ولولا بقية من الخشوع لضاع أثر العبادة ، وقد علمت أن الحكومة السعودية جادة لضم المسعى إلى المسجد فجزاها الله عن المسلمين خيراً .

* * *

لقد كنا نعيش في المسجد الحرام في حلم روحي سام ، وفي جو من الذكريات والأماني تمتزج مع حال المسلمين اليوم فتثير مختلف المشاعر والأحاسيس !

لقد كان يقطع علينا هذا الحلم الجميل ويعكر علينا عبادتنا في الحرم هذا الجيش من المتسولين أتوا مكة من مختلف البلاد .

والحاج يظن أن التصدق على هؤلاء المتسولين من لزوميات الحج ، وهذا الاعتقاد الخاطيء أدى إلى زيادة عددهم ، وجعل مهنتهم تجارة رابحة تغري الكثيرين على مزاولتها وإن كانت مصحوبة بالسؤل والاهانة .

ما أعجب شأن العالم الاسلامي، جاء الاسلام بعلو الهمة وبغض بالسؤال وأوجب لزوم الاعتماد على النفس وحض على العمل موضحاً أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، قال الله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا: فيما كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » ، كما أعلن الرسول صلوات الله عليه مثل ذلك بقوله : (لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ، فيتصدق منه ويستغني به عن الناس خير من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه) و (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي) .

مع كل هذا نجد هذه الجيوش الجرارة من الذين جعلوا التسول صناعة لهم ، وقد كانت المصيبة تهون قليلا ، لو كان هؤلاء المتسولون فقراء حقاً ، ولكن الحوادث أثبتت أنهم فقراء النفوس ضعاف الهمم ، أغنياء الجيوب، وكم نأمل من الحكومة العربية السعودية أن توجد لهم الأعمال وتضرب على أيديهم حرصاً على سمعة الاسلام ، وعلى مستقبل الأجيال الحاضرة والمقبلة التي يخشى – إذا دامت الحال على هذا المنوال – أن يضمحل عديد كثير من النشء الحجازي وتضعف نفسه ويصبح متسولاً وعالة على الحجاج !

هذا – وإذا كان هؤلاء المتسولون فقراء حقاً ، فالعجب أشد ، فقد جاء الاسلام بالمساواة والأخوة ، وإن وجود طبقتين إحداهما مترفة لاهية والثانية فقيرة بائسة ليس من الاسلام في شيء لحرام في بلد كالحجاز – مهد الوحي – أن يكون الفارق المالي بعيداً بين الناس ، وقد أعلن عليه السلام قوله : (ليس بالمؤمن من يشبع ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم) .

* * *

تذكرت وأنا في المسجد الحرام قصة عروجه عليه السلام إلى الملأ الأعلى في السماء مشيراً إلى فتح فلسطين وبلاد الشام ، والمعراج الذي أنكره المشركون من قريش على

الرغم من الأدلة المادية التي أتاهم بها الرسول ﷺ، وجاء العلم اليوم يؤيده فيها ، فقد استطاع نقل الأصوات مع الأثير بالراد(يو)، ونقل الصور والمكتوبات كذلك مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال ، وما تزال القوى الكمينة في الكون تتكشف بعالمنا كل يوم عن جديد ؛ وهذا (ماركوني) سلط تياراً كهربائياً خاصاً من سفينته التي كانت راسية في البندقية في إيطاليا ، فاستطاع أن يضيء بقوة موجات الأثير مدينة سدني في استراليا[1] . »

يا حسرة على العباد كم ينكرون أموراً على الأنبياء ، فيلحدون ويضيعون آخرتهم ثم يأتي العلم بعد ذلك بمخترعاته فيؤيدها .

* * *

ومما لفت نظري في الحرم أن الخطيب الذي يتولى خطبة الجمعة بسيط جداً ، فهو لا يصلح لهذه المهمة ، وكان يخطب في الجماهير المحتشدة والآلاف المؤلفة الآتية من أطراف الدنيا ، خطبة قديمة ليس لها مناسبة كالتي تلقى اليوم في بعض القرى الصغيرة ، وكم كان الموقف بحاجة إلى خطباء فطاحل يوجهون جماهير الحجاج بمختلف اللغات . . .

اتصلت بالاذاعة السعودية وسمحت لي بإلقاء حديث توجيهي على الحجيج رجوت من جلالة الملك في خلاله لزوم السعي للاستفادة من موسم الحج – كمؤتمر إسلامي – ليعود الحجاج إلى بلادهم أكثر حماسة وأكثر فهماً للاسلام ، فيعودون إلى إصلاح قومهم متى رجعوا إليهم .

* * *

شاهد بعضهم نشاطي على الباخرة وفي مكة المكرمة فاستغرب به قائلا أنت جئت إلى هذه الديار المقدسة لتحج وتعبد الله ، أم جئت لتشتغل في السياسة ؟ !

فأجبته : إن ما أقوم به هو من أهم غايات الحج ، وقد أهمله المسلمون فخسروا بسببه خسائر فادحة .

---

(1) حياة محمد للدكتور هيكل ص ١٩٠ .

وما دمت أبحث عن الحج ، فإنه يجدر بي أن أتحدث عن مشروع ضخم يمكن تحقيقه في هذا المؤتمر المبارك ، خلاصته إنشاء جمعية في مكة المكرمة يكون لها فروع في العالم الاسلامي تجمع جنيهاً أو ريالاً من كل حاج للقيام بالأعمال المفيدة لنشر الاسلام وخدمة المسلمين في أنحاء العالم ، وقد كتبت مقالاً في هذا الموضوع أرسلته إلى المؤتمر الاسلامي في كراتشي كما أرسلته إلى جلالة الملك سعود ـ بوساطة جمعيتنا التمدن الاسلامي التي طلبت بكتاب أرفقته فيه السعي لتأليف هذه الجمعية والموافقة عليها . وفيما يلي نص ذلك :

من أعظم ما يجب على العالم الاسلامي في هذا العصر ، التبشير بدينه على نطاق واسع ، بأساليب شتى من الدعاية النفسية والفنية ، وهذا التبشير فرض كفائي على المسلمين ، ولكنهم أهملوه فأدى إلى جهل الناس بدينهم واستنكارهم له أو لبعضه أحياناً .

والدول الغربية مهما تقنعت فإنها تحاربنا حرباً صليبية لاهوادة فيها ، وكلمنا يعلم ما فاه به (الجنرال غورو) عندما دخل دمشق فاتحاً في الحرب العامة الأولى ، فإن أول ما فعله زيارته لضريح صلاح الدين الأيوبي وقوله له : « الآن انتهت الحروب الصليبية ياصلاح الدين ! » ومثل هذه الجملة صدرت عن (الجنرال اللنبي) في القدس .

فهل رأينا تعصباً أشد من هذا التعصب ؟ وهل رأينا لؤماً أوقح من هذا اللؤم ؟ فإن الجيوش الأوربية التي تمزقت تحت سنابك خيول جيش بطلنا الخالد ، عادت على حين غفلة من المسلمين ، وفي الوقت الذي مدت يدها لمصافحتهم لتعاملهم هذه المعاملة .

وإنني على ثقة ان سكان فلسطين لو كانوا من النصارى فقط لما كان لهم مثل هذا المصير المؤسف ! .

لقد كان من أهم أعمال الرسول العظيم محمد ﷺ إرساله الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الاسلام ، وقد أهملنا نحن المسلمين هذا الواجب الديني تفريطاً من عند أنفسنا.

إن الغرب يحمل عن الاسلام فكرة سيئة جداً نتيجة الدعايات المسمومة التي ينفثها فيه بعض رجال الدين والمستشرقين الذين يصورون له ديننا بمظهر الهمجية والقذارة ويحببون له قتالنا واضطهادنا، ويغرونه باستعمارنا واستعبادنا بأساليب شتى ، وأذناب هؤلاء الأشرار

دعاة السوء موجودون بين ظهرانينا يدسون دعاياتهم الباطلة بين أطفالنا وشبابنا ليتنكروا لدينهم ويصبحوا حرباً على تقاليدهم .

وأولئك الخبثاء الذين يأتون إلى ديارنا بلباس العلم والدين هم في الحقيقة أجراء الاستعمار يعلمون أن الاسلام أكبر خطر يهدد مطامع دولهم الاستعمارية ، فيسعون جهدهم لدى أبنائه وبناته ، تحت ستار المدارس والمستشفيات لإخراجهم منه وإضاعة قوته المادية والمعنوية من نفوسهم ليصبحوا لقمة سائغة .

هذا شيء قليل من مؤامرات الغربيين نحو العالم الاسلامي ، تلك المؤامرات التي تهدده بالهلاك .

وإذْ كان كثير من هؤلاء الغربيين المفكرين يجهلون مبادئ الاسلام الصحيحة، وخدمة العلم والحضارة ، أصبح فرضاً محتماً سريعاً على المسلمين أن يؤسسوا فروعاً للدعاية والتبشير لدينهم في البلاد الأوربية والأمريكية تعمل لهذه الغاية المقدسة بشتى الأساليب الفنية المحدثة والعلمية الجذابة لتعريف الناس بدينهم وفوائده لحل مشكلاتهم العالمية في أزماتهم الخطيرة التي تهددهم بالانقراض بين عشية وضحاها من جراء المادية الفتاكة التي يتمسكون بها ، والتي تسير بهم نحو الهاوية وهم غافلون .

وهناك عقبة المال الذي تصطدم به جل مشروعاتنا الاسلامية ويقف حائلا دونها ، فمن أين نأتي به ؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال لا بد لي من سؤال مؤلم أوجهه إلى الرأي العام :

من أين تؤتى الكنائس والأديرة والمدارس التبشيرية بهذا المال ؟

لا شك انه من حكوماتهم وأفرادهم ، إذا كان الأمر كذلك ، أليس لنا حكومات وأفراد ؟ أليس فينا من يغار على دينه يا قوم ؟ أليس عندنا من يخشى على عقيدته ويؤثرها على المال ؟!

لقد أشرت فيما سبق أن القضية قضية حياة أو موت ، فالغربيون المستعمرون عازمون على إفنائنا بالوسائل العديدة ، نظراً للخطر الذي يعظمه لهم رجال دينهم ، وهم يعتبرون قتالنا جهاداً مقدساً مادام الاسلام عدو المسيحية وعدو المدنية ، كما تصوره لهم الدعايات المغرضة.

فإذا كنا لانغار على ديننا، فيجب أن نغار على أعراضنا وأرواحنا والبقية الباقية من ثرواتنا، ـ والدين أغلى من ذلك ـ وفيما أصاب إخواننا الفلسطينيين اللاجئين عبرة للمعتبرين .

لقد آن لنا أن ننتبه من غفلتنا ونصحو من سكرة حب المال .

لقد آن لنا أن ندرك أن الحرص على المال وعدم إنفاقه في مواضعه يؤدي بنا إلى التهلكة

فلننفق بسعة وسخاء، لننفق على الدعاية والتبشير بديننا في كل مكان، لنوضح للملأ الغربي أن الاسلام صديق المسيحية الصحيحة الموحدة، والأديان السماوية متفقة على الأصول وكلها من عند الله تعالى، ولكن خاتم الرسل هو نبينا محمد ﷺ، ودينه خاتم الأديان وأكملها، وأن الاسلام نصير المدنية وحليف السلام، والضامن الوحيد للحضارة الحديثة التي يهددها شبح الحروب .

أليس الاسلام أول من دعا إلى الدخول في السلم ؟

أليس الاسلام أول من دعا إلى تأليف هيئة أمم تحافظ على الدول الصغيرة ؟

أليس الإسلام أول من حث على المساواة بين العروق والأجناس التي يسبب التمييز بينها الحروب الطاحنة .

أليس الاسلام أول من أمر بالحرية الدينية .

أليس الاسلام أول من حث على رفع الحدود بين أبناء الانسانية ؟

أليس الاسلام أول من حض على احترام المعاهدات الدولية، ولو بين المسلمين والمشركين؟

أليس الاسلام نصير العلم وصديق العقل اللذين قام عليهما صرح الحضارة الحديثة ؟

انظروا إلى ما يدعو إليه الاسلام، وكيف يصوره أعداؤه للملأ الغربي، واحكموا بعد ذلك على مقدار ضرورة التبشير لهذا الدين العظيم بنطاق واسع ! .

لنعد إلى روح الموضوع ولنفكر بطريقة نؤمن بها المال الكثير للدعاية قبل أن يأتي يوم تضيع فيه ثرواتنا وأوطاننا .

أرى أن خير وسيلة لذلك تأليف جمعية لهذه الغاية مركزها مكة المكرمة وفروعها في جميع البلاد الاسلامية، والحج مصدر عظيم للحصول على المال، فإن الحاج الذي يدفع مئات الجنيهات لا يتقاعس عن دفع جنيه لرفع كلمة الله والتبشير بدين الله، وهو فرض لا يقل شأناً عن الحج .

وإني على ثقة ويقين أن موسم الحج وحده يسدد المال الكافي لمشروع الدعاية، فكيف إذا أضيفت إليه الأموال التي تأتي من فروع الجمعية المذكورة في أطراف العالم الاسلامي؟

قد يقول بعضهم : وهل يحتاج التبشير إلى كل هذه الأموال التي قد تزيد على ٤٠٠٠٠٠ جنيه كل عام ؟ فأجيب : نعم ! وإلى أكثر من ذلك، فإن الدعاية الحديثة تتطلب مالاً كثيراً، أذكر بعض طرق هذه الدعاية على سبيل المثال والذكرى : صحيفة ومجلة مصورتين بأشهر اللغات الأجنبية، و (ستديو) لاخراج أشرطة الخيالة (الأفلام السينمائية) الاسلامية، فرقاً تمثيلية تطوف العالم لعرض الاسلام على المسارح، محطة للاذاعة تدعو إلى الدين بمختلف طرق المحاضرات والغناء، تدفع أجوراً لكبار الكتاب والمحاضرين الغربيين، اعلانات في الطرق والشوارع العامة المجهزة بالكهرباء، تدعو للاسلام ليل نهار، هذا إلى تأليف كتب ونشرات وتقاويم ومفكرات إسلامية، دفع أجور مقالات في الصحف والمجلات العالمية للدعاية للاسلام والرد على أعدائه، وتقديم جوائز ثمينة للكتاب والروائيين الذين يجيدون الكتابة عن الاسلام، وإعداد جامعة إسلامية لاخراج مجتهدين في الدين يلائمون بين مبادئه ومبادئ ما يفيد من المدنية الحديثة، ومحاربة البدع والأوهام التي تسيء إلى سمعة الاسلام، وإصدار مجلات إسلامية باللغات الأجنبية للأطفال، إرسال رسائل إلى ملوك ورؤساء وزعماء الغرب بأساليب بديعة وفي المناسبات الملائمة .

هذه بعض مشروعات جمعية الدعاية والتبشير الاسلامية، ومنها يتضح ضرورة المال الكثير لها .

أيها المفكرون والمصلحون المسلمون ! هبوا هبة الأسود الغاضبة، وشمروا عن سواعد الجد والعمل، واعلموا ـ والخير ماتعلمون ـ أن القرآن العظيم وسيرة النبي الكريم وتاريخ الجدود القويم تستصرخكم، فاهتبلوها فرصة غالية قبل فوات أوانها وظرفها المواتي لها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ... ولا يسوغه المقدار ما رغبا

وأنتم يا معشر الملوك والرؤساء والزعماء المسلمين، عاضدوا المشروع وساعدوه وناصروه فإن يد الله على الجماعة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

واعلموا أن الخطر من عدم التبشير أول مايعرض عروشكم وزعاماتكم للانقراض والزوال.

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! . . .

المسير إلى عرفه : ذهبنا بالسيارة إلى عرفه في ٩ ذي الحجة ووصلناها بعد الغروب ، وقد كانت نفقات هذه الرحلة على الحاج عشرة أضعاف ما تكلفه لو ذهب الحاج على حسابه لا عن طريق المطوف !

موقف عرفه : يا للروعة والجمال في عرفات حيث يحتشد على أديمها نصف مليون أو مليون مسلم ، فإنني ما رأيت ولا سمعت عن مشهد أعظم من هذا المشهد ، وكم كنت أتمنى أن يكون في عرفه مكبرات الصوت لتوجيه هذه القافلة العظيمة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فنأمل تحقيق الاصلاح والتوجيه في المستقبل القريب بمؤازرة جلالة الملك سعود ، وفقه الله لهذا الخير العميم .

موقف الرسول ﷺ في عرفه : ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نسوق في هذا المقام كيف وقف الرسول عليه الصلاة والسلام في عرفات وكيف سار بناقته القصواء حتى أتى بطن الوادي ، وهناك نادى في الناس ، وما يزال على ناقته بصوت جهوري كان يردده مع ذلك من بعده ربيعة بن أمية بن خلف ، وهو يقف بين عبارة وأخرى حتى يستوعب الناس كلامه قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً .

« أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .

« وإنكم ستلقَوْن ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلّغتُ .

« فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

« وإنّ كل رباً موضوع [أي مهدر] ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون .

« قضى الله أنه لا ربا ، وأنّ ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كلُّه .

« وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ..

« أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً .

ولكنه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

« أيها الناس ، إن النسيء زيادةٌ في الكفر يُضَل به الذين كفروا يُحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرّموا ما أحلّ الله .

« وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان .

« أما بعد ، أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن ألا يوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبيِّنة . فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح . فإن انتهين فلهن رزقُهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

« فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيِّناً : كتاب الله وسنة رسوله .

« أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمُنّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلُمن أنفسكم .

« اللهم هل بلغت » .

كان النبي يقول هذا وربيعة يردّده مقطعاً مقطعاً ، ويسأل الناس أثناء ذلك ليحتفظ بيقظة أذهانهم . فكان النبي يكلفه أن يسألهم مثلاً : إن رسول الله يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟ فيقولون يوم الحج الأكبر . فيقول النبيّ : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا . فلما بلغ خاتمة كلامه وقال : اللهم هل بلغت ، أجاب الناس من كل صوب : نعم . فقال : « اللهم اشهد »[1] .

* * *

(١) حياة محمد للعليم محمد حسين هيكل ص ٤٧٣ — ٤٧٤ .

وبما حدث معي في الحج أنني أخذت لسفري هذا ما يسهل لي الحياة السعيدة الناعمة ، أخذت معي زجاجات شراب الليمون والبرتقال والتوت والرمان ، وعباءة ثمينة وفراشاً من المطاط يملأ بالهواء فيصبح وثيراً بسرعة ، فضاعت العباءة مع كثير من الأمتعة في العقبة ، ونسيت زجاجات الشراب مع كثير من الأدوات الأخرى في السيارة بين جدة ومكة ، وقد حاولت الاستعداد لعرفة فهيأت الفراش المذكور وكثيراً غيره وحزمتها مع أغراض لرفيق لي ، ولكننا نسينا كل ذلك وما ذكرناه إلا في عرفه ، فافترشت في تلك الليلة المباركة الرمل والتحفت سقف الخيمة كأبناء السابلة ، فكأنني أدركت أن النعيم في الحج غير مشكور ، إنما هو رحلة كشفية عسكرية !

وفي الصباح نصحت إخواني بعدم لزوم الذهاب إلى جبل الرحمة لأن الحج عرفه كما جاء في الحديث الشريف ، لما يترتب من الصعود إلى الجبل المذكور من أخطار الزحام وضربة الشمس . . .

وعند الضحى خرج المطوفون وحاشيتهم يحملون رايات عليها أسماؤهم الدعاية لأنفسهم ، وأخذوا بالتلبية وتوجهوا نحو هذا الجبل ، فخرج معهم كثير من الحجاج ، وحاولت عبثاً إقناع إخواني بعدم لزوم الخروج ، فلم يقنعوا وخرجوا ، واستمالوني للخروج معهم فذهبنا في طريقنا إلى الجبل !

وما كاد الطريق ينتصف بنا حتى اشتد الزحام وكادت تبلغ الروح الحلقوم ، فاستلمت سيارة كبيرة كانت في الطريق اعتصمت بها واعتصم بها بعض إخواني . ومكثنا بجانبها حتى خف الزحام ، فقلت لهم : ينبغي الرجوع إلى خيمتنا .

فأبوا وقالوا : مادام الزحام قد خف ، فلا مانع من الذهاب إلى جبل الرحمة .

قلت : أخشى أن تخطئوا الرجوع إلى خيمتكم .

قالوا : كلا ! فإننا نعرف معالم الطريق .

صعدنا بعض الجبل ، ولكن كثرة الأقذار - ويا للأسف - حالت بيننا وبين اتمام الصعود ، فأردنا الرجوع إلى خيمتنا فضللنا الطريق ، وهذا ما كنت أخشى ، حيث كانت الشمس في كبد السماء تحرق كل ما تأتي عليه ، ومن أصابته بلفحتها ربما كانت آخر أيامه ، وجل وفيات الحجيج من ضربة الشمس .

لم يقنع رفقائي بأنهم ضلوا الطريق وادعى كل منهم أنها في المفرق الفلاني ، فلم أوافق ، فذهب كل يبحث عنها وذهبت أنا إلى أقرب خيمة التجأت إليها بعد الاستئذان من صاحبها وعزمت على عدم تركها . ومن حسن الحظ أن بائع الجليد كان بقرب الخيمة .

وبعد مدة عاد الرفقاء بخفي حنين دون أن يعرفوا موضع خيمتهم . والتزمنا جميعاً مكاننا خوف حرارة الشمس المحرقة . وبينما كنا بين الأمل واليأس جاء أحد خدم مطوفنا لشراء الجليد ، فتعلقنا به وعاد بنا إلى مقرنا ، وماكدنا نصل إليه ونتقابل مع بعض أصدقائنا الذين ضاعوا عنا حتى علا البكاء للقائنا وسلامتنا !

قد يستغرب القارئ من هذا الفزع ، ولكن استغرابه يزول إذا علم أن عشرات من الذين ضلوا خيمتهم قد ماتوا بتأثير الشمس ، وبسبب جهلهم ومفارقة خيمتهم .

كم أتمنى من الحكومة السعودية لو تمنع الحجاج من الذهاب إلى جبل الرحمة أو تمنع مطوفيها على الأقل وتحضهم على منع ضيوفهم وإنذارهم بما يتهددهم من خطر الشمس ، كما أتمنى لو تنظم الخيام في عرفه بحيث يعرف الضال مكانه بسرعة بواسطة لوحات تفصيلية .

وفي المساء أعددنا العدة للذهاب إلى مزدلفة فمنى ، ولم ينصحنا أحد - حتى المطوف - بلزوم حمل الماء معنا ، وبقينا في الطريق من العشاء إلى الضحى من اليوم الثاني ، وهو لا يحتاج فيما أظن إلى أكثر من ساعة ، كل ذلك بسبب رداءة السير وعدم تنظيمه من قبل إخصائيين ، وقد بلغ سعر لتر الماء أكثر من ليرة سورية وسعر كيلو الجليد ما يقرب من عشر ليرات سورية .

ومررنا أثناء الطريق بالمزدلفة فجمعنا منها الحجرات في الظلام الدامس مع إمكان إنارة الطريق ، وكان ينبغي أن نبيت فيها ، فلم يتيسر لنا ذلك بسبب منهاج السيارات الجائر . والمبيت بالمزدلفة ركن كعرفة حسب بعض الأقوال لقوله تعالى: « واذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم » وقد هدانا بفعل الرسول ﷺ مبيتاً ومسيره بعد صلاة الفجر والدعاء والاسفار ، ووصلنا إلى منى وأخذنا نلقي الحجرات في جو لاهب يدرب على الخوشنة والصبر على المكاره ، فإن الحج - والحق يقال - رحلة عسكرية كشفية تقوي الجسم وتذهب بترهله ، علاوة على أنه فريضة تعبدية ومؤتمر سياسي واقتصادي اجتماعي عظيم النفع والبركة فضلاً عن آثاره النفسية والروحية .

وقد سبب عدم تنظيم السير مشقة تنفيذ هذا الواجب حيث كان ألوف الناس يروحون ويجيئون من طريق واحدة ضيقة ، رغم وجود طرق أخرى ، كل ذلك ناجم عن عدم النظـام !

ويزيد في صعوبة الرمي لبس النعل في القدمين فإنها سرعان ما تنزع بسبب الدهس والازدحام ، وقد نزعت نعل صديق لنا فحاول إعادتها إلى قدمه فدهس مما أدى إلى موته بعد ذلك ! مع العلم أن الحديث الشريف يشير إلى جواز لبس الخفين بعد قطعيها أسفل من الكعبين . أي أنه يجوز في الحج لبس الحذاء المعروف (بالسباط) فمن أين جاءنا هذا التنطع القائل بعدم جواز لبس إلا النعلين الكاشفين لمشط القدم والأصابع اللذين يعرضان القدم للرمال والأخطار؟! ولا أدري فيما إذا كان يصح البدء بالرمي صباحاً بدلاً من بعد الزوال؟

ذهبنا في اليوم الثالث المذبح ، وهنا موضع انتقاد المنتقدين بسبب عدم استفادة سكان الحجاز كما يجب من اللحوم لكثرة الذبح وسرعة فساده ، مما دعا بعض العلماء إلى الفتوى بدفع المال بدل النحر ، وهذا منه مجازفة حيث لا يقره الشرع ، لأن المناسك من الطاعات المعنية بذاتها ولذاتها ، ويحث الاسلام في مثل هذه الأحوال المفكرين والحكومات والجمعيات الخيرية على اتخاذ وسائل تحقق الاستفادة من هذه اللحوم كإنشاء معمل المعلبات (كونسروة) لحفظ هذه اللحوم وتوزيعها على المستحقين بعد حسم النفقات ، وكذلك معمل لدبغ الجلود ونحو ذلك .

وهذا المشروع أفضل من توزيع المال بدل الأضحية ولسرعة تبديد المال ، وفيه تنشيط لموارد الجزيرة العربية وتربية ماشيتها ، فينتفع من الأضحية غني بتجارته وبيعه كما ينتفع فقير بإطعامه .

فنأمل من الحكومة السعودية وممن يسوءهم فساد هذه اللحوم أن يسارعوا إلى معالجة الموقف معالجة فنية اقتصادية ،

* * *

وفي منى زرت مقر السفارة الأندونسية ، واجتمعت بفئة من الشباب المثقف فيها واقترحت عليهم عقد معاهدة عسكرية دفاعية بين أندونسيا وباكستان استعداداً للطوارئ !

وقد تناول الحديث نواحي شتى أهمها قضية اللغة العربية ، وقضية الزكاة .

دعوت هؤلاء الشباب لحث حكوماتهم على العناية باللغة العربية ، وتدريسها في المدارس الرسمية إلى جانب اللغة الوطنية .

فقال أحدهم - وكان عليما - إن مشكلاتنا الاقتصادية تدعونا للاهتمام باللغة الانكليزية قبل اللغة العربية للاتصال بالعالم .

قلت : إن الاهتمام باللغة العربية واجب إسلامي وسياسي واقتصادي معاً ؛ إن العالم الاسلامي إذا أتقن اللغة العربية أسرعت الجامعة الاسلامية بالتحقيق ، وإذا تحققت أصبح التعامل مع (٤٠٠) مليون مسلم له نتائجه الجبارة في جميع نواحي الحياة وضمن قوته وحريته .

أما من ناحية الزكاة ، فقد قال هذا العليم أن هذه الفريضة لا تكفي لحل مشكلة الفقر اليوم .

فأجبته ان الاسلام فرض الزكاة كحد أدنى لحل المشكلة التي ذكرتها ، وقد كفى هذا المقدار في العصور السابقة ، أما الحد الأعلى فلا نهاية لأكثره ، فالدولة لها الحق في استنفار جميع قوى الشعب وأمواله وفقاً للآية الكريمة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » وقال عليه الصلاة والسلام : (إذا استنفرتم فانفروا) .

كل ذلك بشرط ألا تكون الدولة مسرفة ولا مفرطة ! !

ثم قلت لهم : إن الزكاة وغيرها ليست إحساناً وصدقة فقط كما يظن الكثيرون - بل إنها فريضة إجبارية يقاتل مانعها .

وقد سررنا جميعاً من هذا الاجتماع الذي تمّ فيه التفاهم على كثير من القضايا الاسلامية .

★ ★ ★

وذهبنا من منى إلى مكة حيث قمنا بطواف الافاضة (= القدوم = والزيارة) وبقينا فيها عدة أيام قضيناها في الحرم نكثر من الدعاء والصلاة حيث (ان الصلاة في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه) كما جاء في الحديث الشريف .

* * *

في هذه الأثناء زرت جماعة من المشتغلين بالسياسة الاسلامية في فندق مصر في مكة أمثال الأستاذ على الطنطاوي وغيره ودار الحديث حول خصومة كثير من الحكام في البلاد الاسلامية لعودة الاسلام للحكم ، فأخذ الكثيرون يلومون هؤلاء الحكام ، أما أنا فإنني

خالفتهم في بعض النواحي ونزلت باللائمة على علمائنا الذين لم يستطيعوا إخراج الاسلام إخراجاً جديداً يلمس منه حكامنا وزعماؤنا كل الخير وكل الصلاح !

ثم قلت : إن هؤلاء المسؤولين وأكثرهم قد درس في المدارس الأجنبية والتبشيرية وفي ديار الغرب ، لا يفهمون من الاسلام شيئاً ، بل إنهم قد أخذوا صورة معكوسة عنه من مدرسيهم ، لذلك وجب علينا التقرب منهم وتفهيمهم الاسلام بأسلوب العصر الحديث وتأليف دستور وقوانين مقننة إسلامية وبيان الفروق الشاسعة بينها وبين الدساتير والقوانين الوضعية التي أخذناها عن الغرب والتي تخالف عاداتنا وأخلاقنا ، وكانت سبباً في انتشار الفوضى والفساد في بلادنا .

وكنت مما قلته : إن أخشى ما أخشاه أن ينقلب هذا الخلاف بين المصلحين من المسلمين، وبين الحكام - وخاصة في مصر - إلى خصومة ونزاع لا يعلم إلا الله مدى ماينتهي إليه ! .

فأقر الاخوان فكرتي وقالوا :

إنه من الضروري جمع العلماء المشتغلين بالفقه الاسلامي لتأليف الكتب التي ذكرتها ، ولكن من يكفل الانفاق عليهم ؟ !

فأجبتهم إني مستعد - بكل تواضع - أن أتولى هذه المهمة وأنفق على هذه الجماعة في أحد مصايف دمشق .

فحبذ الاخوان هذه الفكرة وأخذوا مني تعهداً خطياً على ذلك . . .

وفي المساء من هذا اليوم أقام جماعة من الاخوان في الفندق المذكور حفلة شاي دعوا إليها بعض الشخصيات ، وكان عددهم لا يتجاوز المئة ، وأخذ الخطباء يرضون رغبتهم الخطابية ، ويرسلون الكلام جزافاً بغير جدوى ، وكان أكثر المدعوين من الطبقة الارستقراطية التي لا تشعر - غالباً - بآلامنا ، فساءني هذا الاحتفال غير الطبيعي وطلبت من القائمين على الحفلة السماح لي بإلقاء كلمة فاعتذروا لضيق الوقت ، وهأنذا أثبتها فيما يلي :

أيها السادة ، اسمحوا لي قبل أن أقول كلمتي أن أقدم لها بالنادرة الآتية :

اجتمع طائفة من الأتراك لمعالجة مشكلة من مشكلاتهم ، فقال أحدهم متسائلاً : هل أعددتم للاجتماع خطباءه ؟

فغضب إخوانه منه وقالوا قولاً مؤلماً : إن العرب وحدهم هم الذين يحلون مشكلاتهم

بالخطب ، فيبتدئون بالحماسة وينتهون بالتصفيق وتضييع الغاية من خلال ذلك !

أيها السادة ، هذه كلمة مؤسفة أنقلها إليكم ، وهي حقيقة إلى حد بعيد في كثير من عرب اليوم ، فقد ضاع أعظم قسم من فلسطين بالخطب ، بينما الخصم كان يستعد صامتاً ، ثم ضاع القسم الباقي ونحن لا نزال نخطب !

لقد تكلم البارحة أحد الخطباء في هذا الفندق عن الحج وخطورته وضرورة الاستفادة منه كمؤتمر تحقيقاً للآية الكريمة « وأذن في الحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله . . . » .

وهنا يعرض لي سؤال لهذا الخطيب وغيره : إذا كنت تقول بضرورة الاستفادة من الحج كمؤتمر ، فلماذا لم تتقدم أنت وجماعتك إلى عقد اجتماعكم في المسجد الحرام بدلاً من الفندق فتستفيدون من هذا المؤتمر الذي جمع أغنياء وعلماء كل بلد جاؤوا من جميع أقطار الدنيا وقد باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ؟ !

أيها الاخوان ، لقد انتهى دور الخطب والخناجر في حل المشكلات في الأمم ، وبدأ دور المباحث ، ووضع النقط على الحروف والتعاون لايجاد الحلول بالمناقشة والتحليل ووضع التصاميم والخطط .

أيها الاخوان ؛ ماعلمنا العرب في الماضي مولعين بالخطب إلى هذا الحد ، فإننا لو جمعنا هذه الخطب التي قيلت بمناسبة قضية فلسطين لرأيناها ربما تزيد على جميع خطب العرب من مبدأ الفتح الاسلامي إلى نهايته ! !

أيها السادة ؛ أعود فأقول لكم إنه ينبغي الافادة من موسم الحج في حل مشكلاتنا، وعندي لو أنه تألفت جمعية دائمة في أم القرى يكون لها لجان في جميع الأقطار لجمع التبرعات من أجل قضية فلسطين والجزائر وغيرهما لأتت بالعجائب ، ولوفرت لمشكلاتنا ملايين الجنيهات.

أيها السادة ؛ إن الحاج يدفع ثمن لوح الجليد ديناراً ، فلو أننا وجهناه وأوضحنا له وجوب البذل للدفاع عن القضايا الاسلامية ، وبينا له أن الدفع في هذا السبيل هو من الدين ، بل هو من أهم أسسه ، نعم لو وجه هذا الحاج لجاد بالمال الكثير في سبيل نصرة الاسلام وتجنيد المناضلين له .

إن موسم الحج لو عرف مفكرو المسلمين الاستفادة منه لاستطاعوا تحرير جميع البلدان العربية والاسلامية الواقعة تحت الاستعمار والضغط الأجنبي .

إن هذا الحجيج الوافد إلى مكة المكرمة من جميع أطراف الدنيا إنما جاء لرفع كلمة الله ، فهو على استعداد للانطلاق ـ إذا وجه ـ إلى محاربة العدو بماله ونفسه . . .

* * *

ولما جاء أوان سفرنا إلى المدينة امتطينا سيارة متوسطة الحجم ، وكانت الطريق وعرة المسالك في أغلبها ، والسائق ـ كأكثر السائقين الحجازيين ـ يسعى جهده لابتزاز أموال الحجاج بحيل شتى ، وإذا رفضوا طلباته المتكررة تمرد عليهم وتوقف عن المسير ، وكم أتمنى لو تعمد الحكومة السعودية إلى تسيير شرطة في الطرقات لإنقاذ الحجاج من هؤلاء الآثمين .

* * *

وصلنا إلى المدينة المنورة ، وبعد قليل دخلت المسجد النبوي ثم وقفت أمام الحجرة النبوية ، فتملكني شعور الاحترام والإجلال وفاضت عيناي بالبكاء ، وشعرت بهزة عنيفة لعظمة هذا الرسول عليه صلوات الله ، وبطولة الصاحبين الكبيرين أبي بكر وعمر .

ثم وقفت أناجي بالتحية قائلاً : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ! أشهد أنك رسول الله الواحد الأحد حقاً وصدقاً ، وأنه بعثك للناس كافة بالهدى ودين الحق . هديتهم بأمره ألا يعبدوا إلا إياه مخلصين له الدين حنفاء ، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، سماك ربك عبده قبل أن يسميك رسوله ، حتى لا يضل قوم فيحرفوا كلام الله عن مواضعه فيؤلهوك أو يعبدوك كما أله رسل من قبلك وعبدوا ، وبلغتنا من وحي ربك أنك بشر مثلنا يوحى إليك إنما إلهنا إله واحد ، ليعلم الناس أن الله يصطفي لرسالاته من يشاء من عباده ، فيظل من اصطفاه عبده وان فضله على الناس إذ جعل بعضهم فوق بعض درجات . والله وحده ، جل شأنه لاشريك له ، هو الذي تجب على الناس جميعاً عبادته . لذلك خلقهم ، وإليه مرجعهم ، وعليه حسابهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

« أشهد أنك رسول الله بعثك بالهدى ودين الحق . علمتنا بأمره ووحيه أن عبادة الله ليست ذلا وليست خضوعاً ، انما هي اسلام لله عن ايمان صادق ابتغاء رضاه عن صالح ما نعمل ، والتماساً لعفوه عما نضل فيه السبيل ، أو تحدثنا به النفس الأمارة بالسوء . فمن أسلم لدعوتك مذعناً غير مؤمن لم يدرك ما تدعونا إليه ، ومن أسلم وجهه لله وهو مؤمن فأولئك الذين رضي الله عنهم ، ورضوا عنه والذين يخشون ربهم بالغداة والعشي ، فاذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا رأوا آياته زادتهم ايماناً . ينظرون في خلقه يريدون أن يعرفوا من طريق العلم سنته ، ويسعون في مناكب الارض ليزدادوا علماً ، وليزدادوا ايماناً .

« أشهد أنك رسول الله حقاً وصدقاً . علمتنا أن المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن المؤمنين اخوة حق عليهم أن يتحابوا بنور الله بينهم ، وأن نور وجهه الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة هادينا الى البر والرضا وأن الحياة محبة أساسها الايثار على النفس ، وقوامها انكار الذات ، وغرضها المثل الأعلى ، ووسيلتها الأسوة الحسنة ، خير دواء فيها الصبر ، وخير سلاح فيها العلم ، وخير شفيع فيها الصديق ، وخير كنز فيها الثقة بالنفس ، وخير أنيس فيها ذكر الله .

«أشهد أنك رسول الله القوي الأمين . علمتنا المثل الأعلى لله ، وأن الاستهانة بالموت من خلق الجهاد ، وأن ما في الحياة مما دون المثل الأعلى لن يبلغ أن يصد عنه أو يقف دونه ، وأن الخوالف والقواعد دون الجهاد هم الذين يبتغون بايمانهم ثمناً قليلا ، يؤثرون العاجلة وان هانت ، ويرضون من أجلها أن يبيعوا آخرتهم بدنياهم . أولئك نسوا الله فأنساهم أنفسهم ؛ أما الذين جاهدوا في سبيله فقتلوا فليسوا أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون .

« أشهد أنك رسول الله أوحى اليك الكتاب بالحق ، لا ريب فيه هدى للمتقين . فيه آيات بينات يذكر بها الذين آمنوا وتزيدهم ايماناً ، هو يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، فيه شفاء ونور للذين آمنوا ، يدعوهم الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل الذين ارتابوا بالتي هي أحسن ، وينذر الظالمين والمعاندين عذاباً عظيما . نزله عليك ربك بالحق ، فبلغت رسالته ، وكنت فيها الأسوة الحسنة للذين يريدون وجه ربهم مخلصين .

« وأشهد أن لا اله الا الله لا نشرك به شيئاً ولا نعبد من دونه أحداً ، وأن محمداً رسول الله ، بلغ رسالات ربه وجاهد في سبيله ، حتى أتم الله النصر لدينه ، ﷺ .

« السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليك يا أبا بكر ! السلام عليك يا عمر ! »(1)

لله كم كانت خشية الرسول شديدة على ايمان أمته فكان يخاف عليهم من الشرك حتى من ملابسات زيارته الشريفة فقال (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد !) فما أشقى هؤلاء المجاذيب الذين يترامون على القبور مستغيثين على الرغم مما يسمعونه من قوله السابق عليه الصلاة والسلام ومن هذا الحديث الشريف : (إذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله).

لقد ذكر المليم محمد حسين هيكل في كتابه منزل الوحي (٥٧٤) أنه تلا الفاتحة لما وقف أمام الحجرة النبوية المباركة كما يفعل العامة مع أنه لم يرد حديث ولو ضعيف في تأييد قراءة الفاتحة على القبور ، انما ورد في هذه المواضع التحية والدعاء الميت ، فإن القرآن دستور إلهي أنزله الله تعالى للناس ليدبروا آياته ويعملوا بها قال عليه الصلاة والسلام « اقرأوا في بيوتكم سورة البقرة ولا تجعلوها قبوراً » إذ لا يقرأ القرآن على هذه القبور سامح الله علماءنا الذين لا ينبهون الجمهور الى هذا الخطأ الفادح ، بل كثيراً ما يتسابقون في هذه البدعة (2) .

قال لي أحدهم : كيف يقال بعدم جواز رفع القباب فوق القبور ، وهذا قبر الرسول ، وقد بنيت فوقه القبة .

قلت الجواب عن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أوليائهم مساجد » وقال في حديث آخر « . . . اولئك كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق . »

وقد جاء في كتاب منزل الوحي (ص ٥٧٧) الجواب على السؤال السابق .

وبقيت حجرة القبر على بساطتها الى أن أمر الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة أن يزيد في المسجد وأن يضم حجرات أزواج النبي اليه . وكل ما قيل إنه

---

(1) نقلا عن كتاب منزل الوحي للعليم هيكل .

(2) المجلة : يحسن مراجعة ما كتبه الأستاذ الشيخ عبد الله القلقيلي - المفتي العام للمملكة الأردنية الآن - في (القراءة للميت) وأحوالها وأحكامها (المجلد ٢٠ من هذه المجلة ، العدد ٥ و ٨) .

حدث قبل ذلك أن وضعت على القبور الثلاثة حجارة مسنمة وكانت في العهد الأول مسواة بالأرض . وانقض جدار من الحجرة حين أمر عمر بن عبد العزيز ببنائها ، فانكشف أحد القبور عن ساق وركبة ، فتولى عمر الفزع أن تكون ساق رسول الله وركبته . فلما تبين أنها ساق عمر وركبته زايله الفزع وهدأ روعه ، وأمر مولاه مزاحم فقام فسترها وسوى التراب عليها . وبعد ذلك أقيمت الحجرة فخيمة البناء فخامة أعجبت الوليد ابن عبد الملك ودعته أن يقول لأبان بن عثمان : « أين بناؤنا من بنائكم ! » وكان جواب أبان : « بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس » ! ! ! .

أراني أشد ميلا لرأي هؤلاء المسلمين الأولين فيما صنع الوليد بن عبد الملك . فلو أن الحجرة بقيت كما كانت يوم دفن بها رسول الله لكان منظرها أقوى الهاماً من منظر الحجرة المزخرفة البديعة النقش الجميلة العمد الثمينة الأثاث ، والتي تبعث الى النفس من الروعة أكثر مما تدعو اليه من الأسوة والعبرة . كانت تلك الحجرة الأولى صورة حية من حياة رسول الله ، ومن جهاده ، ومن آلامه ، ومن مرضه ، ومن دفنه .

ذهبنا لزيارة البقيع ، وهو مقبرة المدينة منذ عهد الجاهلي ، وفيه قبور كبار الصحابة والتابعين كعثمان بن عفان وأزواج النبي وبناته وأولاده وجعفر الصادق ، ومالك بن أنس صاحب المذهب المالكي الذي أعجب بموطئه في الحديث الخليفة أبو جعفر المنصور فاراد حمل الناس على المذهب المالكي حسب ما جاء في الموطأ ، فرفض مالك طلبه حرصاً على الحقيقة وأن يكون غيره توصل الى الصواب أكثر منه .

والمسلم لا يملك نفسه في البقيع من التأثر تأثراً يزيد في تقدير الموت بسبب بساطة القبور التي أقيمت حسب السنة المطهرة ، فإن القبور لا تزينها ضخامتها وزخارفها وخزعبلاتها ، انما يزينها روعة أصحابها وجليل أعمالهم ، حتى أنها لو لم تكن موجودة ، فإن بطولاتهم لا تضيع ، بل تزيد سعة وضياء ، فكم من عظمائنا الذين لا نعرف قبورهم ، ولكنهم يعيشون بيننا بأعمالهم الخالدة المجيدة .

ثم زرنا شهداء أحد وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، فذكرنا نضاله وجهاده في سبيل الدفاع عن الاسلام ، وكيف ثارت ثائرته على أبي جهل لأنه علم أنه شتم النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد مر بذاكرتي كيف قتل وحشي حمزة رضي الله عنه غدراً وكيف مثلت به هند زوجة أبي سفيان ، وقد أحزن استشهاده النبي حزناً شديداً ، وكان مما قاله : والله لئن أظفرني الله بالقوم يوماً من الدهر لأمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . وفي هذا نزل قوله تعالى ، انتصاراً للرحمة على القسوة ، لأنه دين الانسانية جمعاء لا يتأثر بالعاطفة : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، » فلما نزلت قال الرسول ﷺ : « بل الصبر » وكفّر عن يمينه .

* * *

زرت المسجد النبوي مودعاً الرسول عليه وآله الصلاة والسلام وصاحبيه العظيمين ، ثم توجهنا من مكة الى جدة ، ومن أروع ما شاهدته في هذه ولا يزال يأخذ بمجامع قلبي شخصية عظيمة تعرفت عليها هي شخصية العلامة محمد نصيف أحد أعيان الحجاز وقادة العالم الاسلامي .

بحر من الجود والكرم ، وغيرة على الاسلام متقدة ، داره كعبة القاصدين من الزوار والضيوف ، فهي بحق (دار المسلمين) يحل بها من عرف ، ومن لم يعرف الشيخ الجليل حفظه الله وأبقاه ذخراً للاسلام .

ومن مزايا هذا الرجل العظيم أنه من السلفيين الذين يعملون بمذهب أهل الحديث مذهب الأئمة العظام البخاري ومسلم وأصحاب السنن وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أعلام الاسلام وعظماء المسلمين ، بل أمثال الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم جميعاً الذين نادوا بمبدأ « إذا صح الحديث فهو مذهبي(١) » ومبدأ « من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة(٢) » ومبدأ « أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد(٣) » ومبدأ : « ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ (٤) » .

فالسلفيون في الأمس واليوم هم حقاً حملة لواء أصحاب المذاهب المشار اليهم ومن خالفهم — بما سبق من مبادئهم — خرج عنهم وضل ضلالاً بعيداً ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة !

(١) الامام ابو حنيفة (٢) الامام احمد بن حنبل
(٣) الامام الشافعي (٤) الامام مالك

وشيخنا الفاضل محمد نصيف نسيج وحده . يعمل على طبع الكتب الاسلامية القيمة المتحررة من البدع والخرافات والتعصب الضيق ، على نفقته وشراء ما ظهر منها وتوزيعها هدايا على إخوانه وضيوفه بصورة لا يعهد لها مثيل بين العلماء ، مما كان سبباً في سعة انتشار هذه الدعوة النقية المباركة التي يتوقف عليها صلاح المسلمين واجتماعهم على كلمة واحدة : أمنية علماء الحديث ، وأمنية أصحاب المذاهب أنفسهم ، وأمنية السلفيين اليوم الذين يلاقون من المذهبيين المتعصبين كل عنت وظلم ، وهم ثابتون صابرون عزاؤهم قوله ﷺ وقد قصد أهل الحديث والسلفيين بقوله حسب تفسير الامام احمد بن حنبل والبخاري وغيرهما :

« لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » .

وقد أحسن من قال :

أهل الحديث هموا أهل النبي وإن ... لم يصحبوا نفسه ، أنفاسه صحبوا

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن قال فيهم :

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » . . .

وقد جعلت دوري في العودة في الباخرة الثالثة بدلاً من الرابعة التي جئت فيها لأستطيع الاتصال بحجاج آخرين ، فقمت بالنشاط الذي قمت به في الذهاب ، وألقيت في اذاعة الباخرة الكلمة الآتية :

إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات ! تعلمون جميعاً ان اخواننا المسلمين في المغرب العربي يقتلون ويذبحون بقنابل ورصاص الحكومة الفرنسية المجرمة ، تعلمون ايضاً أن النساء المسلمات العربيات تبقر بطونهن بسيوف رجال الاستعمار في البيوت والطرق والشوارع ، وتعلمون كذلك أن ألوف الأحرار ترتج بهم هذه الدولة المفترسة في أعماق السجون المظلمة وتسومهم سوء العذاب .

نحن نعلم كل ذلك ، ونعلم أيضاً أن إخواننا المسلمين هناك في مراكش وفي الجزائر وفي تونس يقاتلون باستبسال وهم بحاجة الى مال وأعتدة ورجال .

كل ذلك معلوم لدى كل مسلم منا ، بل لدى ٤٠٠ مليون مسلم ساهين لاهين في أوطانهم ، بينما إخوانهم المسلمون في المغرب يصلون بنار الاستعمار ، بنار الصليبية الحديثة التي بدأت في عهد صلاح ولن تنتهي . ولا جريرة للمسلم هناك إلا أنه يقول « لا اله إلا الله » ويطلبون الحياة الشريفة .

إخواني المسلمين والمسلمات تذكرون جيداً ان العرب في الحرب العالميـة الأولى خدعوا بوعود الحلفاء ، فانضموا اليهم لتحرير البلاد من الأتراك ، ولكن أتدرون ماذا كانت النتيجة ؟

يا لها من نتيجة مروعة ! يا لها من نتيجة تدمي القلوب ، فقد وقف الجنرال غورو بعد النصر على قبر صلاح الدين وقال له بتهكم واستفزاز : (يا صلاح الدين اليوم انتهت الحروب الصليبية !)

الحقيقة ان الكلام لم يكن موجهاً الى صلاح الدين رضي الله عنه ، ولكنه كان موجهاً الى ٤٠٠ مليون مسلم ، فلو كان فيهم دم يثور لقاموا قومة رجل واحـــد ، ولردوا على هذه الكلمة الفاجرة . وما تخفي صدور غورو وأمثاله اكبر » .

وكذلك قال النبي في ارض فلسطين من ديار الشام المباركة .

رحم الله تعالى الخليفة المعتصم الذي جيش جيشاً لمحاربة الروم من أجل كلمة ، ومن أجل امرأة وفتح بعدها عمورية !

وجزى الله الأمير عبد الكريم الخطابي خيراً ، فانه حارب طوال زهرة عمره من أجل كلمة سمعها من أحد رجال فرنسا أهان بها العرب .

ليست المشكلة مشكلة المغرب العربي وحدها فهناك أيضاً فلسطين الشهيدة ، هنـــاك مليون من اللاجئين شردهم اليهود بمعاونة الدول الأجنبية الكبرى على أعين ٤٠٠ مليون مسلم .

إخواني وأخواتي الحجاج ! المسلمون مصابون بداء وبيل ، بداء عضال ، وهو داء اللامبالاة وعدم الاهتمام باخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى ، فنجد بلداً اسلامياً كالمغرب مثلا يعتدي عليه الأجنبي ويصليه ناراً حامية ، فيقف المسلمون في سائر الدنيا متفرجين ! وإذا تكرموا وجادت أريحتهم رفعوا أيديهم إلى السماء واقتصروا على الدعاء !

كل هذا ليس من صفات المسلمين ، كل هذا ليس من صفات المؤمنين ، فان من لم يهتم بالمسلمين فليس منهم ، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله : « إنما المؤمنون اخوة » وصور عليه السلام في أحاديث كثيرة مبلغ التضامن والتعاون بين المسلمين كقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله أيضاً : (ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

يا له من وصف رائع للمسلمين الحقيقيين ، للمؤمنين الذين يتحرك فيهم دم الأيمان ونخوة الايمان . ومن لم يكن بهذا الوصف ، فليس بمؤمن كامل ، وان صام وصلى وحج وزعم أنه مسلم ، بل إنه مسلم مزيف ، أو من حثالة المسلمين !

أيها السادة :

أتدرون ماذا أدت اليه نتيجة عدم اهتمام المسلمين بعضهم بشؤون بعض ؟ وكيف كان مصير المسلمين الذين أغفلوا واجب التعاون الذي حض عليه الإسلام ؟

لقد كانت النتيجة كنتيجة كل من يهمل أمراً من أمور الاسلام ، لقد كانت النتيجة أن الأعداء المستعمرين طمعوا في عاقبة إهمالنا ، وتمادوا في طغيانهم ، وأخذوا يعتدون على الأجزاء والبلاد الأخرى للمسلمين ما دام المجال فسيحاً ، وهكذا كان مصير البلاد الاسلامية جميعاً .

فلو كان المسلمون مسلمين حقاً ، ولو كان المسلمون عندهم قليل من الوعي لأعلنوا الجهاد المقدس على كل من يعتدي على أي بلد اسلامي مهما كان بعيداً ، فلو فعلوا ذلك لأنقذوا أنفسهم وأنقذوا غيرهم من أبناء دينهم ، ولو فعلوا ذلك لأرضوا الله كثيراً ، ولو فعلوا ذلك لكان لهم هيبة في نفوس أعدائهم فلا يجسرون على محاربتهم .

ولكن ما دام المسلمون لم يفعلوا وتركوا الأعداء والمستعمرين يقتلون اخوانهم وهم ساهون لاهون ، فليبشروا بغضب من الله تعالى وليبشروا بالاستعمار ، قال تعالى : « المؤمنون بعضهم أولياء بعض » وجاء في الحديث الشريف (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) وجاء في بعض الحكم : (أنت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا يؤتين من قبلك !)

قد يقول بعضكم : ماذا يقول هـذا الخطيب ؟ فهل يتصور العقل أن يعتدى أحد على المسلمين ويبقى بعضهم الآخر متفرجاً ؟

نعم وقد وقع ذلك وأكثر منه ، بل لا يزال يقع ، ولا أريد أن أسوق لكم الأمثلة من التاريخ القديم ، بل أسوقه من الحاضر القريب ، بالأمس اعتدى اليهود على فلسطين ومزقوا أهلها شر ممزق ، ومع كل هذا بقي المسلمون في تركيا وايران والأفغان وباكستان واندونيسيا متفرجين ، بل أن تركيا - لا الشعب التركي - أيدت وما تزال تؤيد اليهود ، وان أحد

الجيوش العربية وقف من مذابح فلسطين في أرض فلسطين موقف المتفرج أيضاً ، فاذا قيل له مالك لا تدافع عن اخوانك الفلسطينيين ؟ كان يبين أنه لم يتلق أمراً !

فيا للعار ويا الذل ! ان الجيش الاسلامي يتحرك من نفسه وبصورة طبيعية اذا وجد أمة اسلامية تحارب ، دون أن ينتظر الأوامر من أسياده اجراء الاستعمار !

والآن أيها السادة والسيدات يعتدي الفرنسيون على اخواننا المسلمين في المغرب ونحن جميعاً واقفون مكتوفي الأيدي نتفرج على المعركة كأننا في (صالة سينما) ، ومن حين الى آخر يعتدي اليهود على جزء من أجزاء الوطن العربي فتقف الأجزاء الباقية متفرجة .

يا جماعة الخير : يقول المثل العامي : لو كانت لجارتي لطقت مرارتي ، فكيف ومصيبة الاستعمار كالحريق لا يلبث أن يلتهم بناره القريب والبعيد .

كيف وان الله تعالى سائلنا يوم القيامة عن تفريطنا ما دام المسلمون أخوة وما داموا كالبنيان ، وما داموا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ؟ !

والله يا مسلمون ما ضاع مجدنا العظيم ومدنيتنا الزاهرة إلا لاغفالنا هذه القضية الخطيرة قضية الاهتمام بالعالم الاسلامي عامة والعربي خاصة والدفاع عن كل جزء من أجزائه بالمال والرجال كما لو اعتدى على بيت من بيوتنا ؛ بالأمس اعتدى الغربيون على الأندلس فاستجار المسلمون فيها بالأتراك ، فأبوا أن يساعدوهم حتى قتلهم العدو ومزقهم شر ممزق ، وبقيت الدولة العثمانية تتفرج ولكن هل انتهت الفاجعة الى هنا ؟

كلا فان الغربيين ما كادوا ينتهون من الأندلس حتى تفرغوا الى تركيا وتقاسموا أملاكها وهكذا أعيد تمثيل قصة الأسد والثورين ، وحق لتركيا أن تصيح (ولو بعد حين) الا أني مزقت يوم مزقوا الأندلس ولم أبادر لمساعدتها !

ومن أعجب ما رأيته في هذه الرحلة الى الحج اني شاهدت جماعة من المغاربة قد أتوا الى الحج . فسألتهم كيف تركتم اخوانكم في المغرب ؟ قالوا : تركناهم يقتلون ويذبحون برصاص المستعمرين .

قلت : وما أتى بكم الى هنا ؟ قالوا : قد أتينا لأداء فريضة الحج .

فلم أملك نفسي من أن أقول لهم : إن الذين قتلوا إخوانكم المغاربة ليسوا الفرنسيين وحدهم ، بل أنتم تعدون من القتلة أيضاً ، فلو جاهدتم مع صفوف إخوانكم لما تسنى المستعمر هذا القتل والذبح .

قالوا : والحج ماذا نفعل بفريضته ؟

قلت : إن الجهاد فرض مقدم على الحج عقلا وشرعاً ، حتى لو لم يكن هناك حرب ثم وقعت والحجاج في طريقهم إلى الحج ، فينبغي أن يحولوا بواخرهم وطائراتهم وقوافلهم إلى مكان الحرب لنصرة المسلمين .

قال المغاربة : وهل نحن وحدنا آثمون في ترك أخواننا يصلون بنار الاستعمار ؟

قلت : كلا ! بل جميع المسلمين آثمون مثلكم .

ثم قلت لهم : أبلغوا من وراءكم من المسلمين في المغرب لزوم مشاركة إخوانهم في الجهاد كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وتأجيل الحج حتى يتم النصر للمسلمين .

قد يقول قائل : ما ترانا نعمل إذا طالبنا حكوماتنا بتقديم المساعدات ومعاونة إخواننا المسلمين ولم تفعل ؟

فأجيب عن ذلك : إن الشعب هو صاحب الكلمة الأولى ، والحكومة التي لا تلبي طلبه ولا تعبر عن رغباته لا تسمى حكومة ، بل عصابة ، أجل عصابة فاقلة ، فعليكم أن تهدموها فانه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) كما جاء في الحديث الشريف ، وكما قال عليه السلام في دعاء القنوت : (ونخلع ونترك من يفجرك) - يا الله -

وهل أفجر وأعصى من حكومة تقف متفرجة وبيدها المال والسلاح والرجال ، وذلك إما خوفاً على جاهها ، وإما لأنها صنيعة الأجنبي ؟

وإذا زعمت أنها ليست من صنيعة الأجنبي ولا تخاف على جاهها فلماذا تبقي هذه الحدود التي صنعها المستعمر لتمزيق أوصالنا واضعاف قوانا ؟

وإذا لم تكن صنيعة الأجنبي ، فلماذا لا تشعر بشعور شعوبها ، ولا تدافع عن الوطن الاسلامي الكبير ؟ !

أيتها الشعوب الاسلامية إن حياتكم متوقفة على قيام الدولة الاسلامية ، ولكم الكلمة

الأولى والأخيرة ، والحكومات التي لا تلبي رغباتكم ولا تحترم شعوركم فاخلعوها لتكون عبرة لمن يعتبر ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

* * *

ولقد طلبت من أحد اخواني الأساتذة ترجمة خلاصة هذا المقال الى اللغة التركية فترجمه وأذاعه على الحجاج الأتراك .

وما كاد هؤلاء يسمعونه حتى سارعوا إلى الاذاعة وقالوا له : نحن قبل أن نغادر بلادنا ودعنا أهلنا على عدم الرجوع فهيا سر معنا يا أستاذ لنذهب إلى الجهاد حيث شئت ! !

* * *

اكتفي بهذا القدر من مذكراتي عن الحج ، وأهم ما لفت نظري وصرف انتباهي في هذه الديار المقدسة التي كانت مبعث نور الاسلام وتشريعه العظيم انهذه البلاد ليس فيها شيء مادي يوحي الى النفس النور والحضارة في بلاد قاحلة ، واراض جرداء وحر يقتل العبقريات وجود يميت البطولات فمن أين أتاها هذا الأمر العجيب ؟ !

إن كل ذلك سر يفسره من الله سلطان وحكمة وشعار يردده كل مسلم في كل ساعة : الله أكبر !

* * *

بعض أسرار الحج : كثير من أعمال الحج تخفى حكمتها على الكثيرين حتى ظنها بعضهم مجرد أوامر إلهية لا فائدة منها لذاتها ، وقد استطاع الإمام الغزالي في كتابه أحياء علوم الدين بيان الحكمة من هذه الأعمال كما بدت له فرأيت أن أخلصها فيما يلي مع امكان وجود أمثالها من الحكم .

الطواف بالبيت : إنه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ... واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ...

الاستلام للحجر الاسود : اعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فوجّه عزيمتك على الوفاء ببيعك ، فمن غدر في المبايعة استحق المقت .

الالتصاق بالركن اليماني : فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركا بالمحارسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لا في البيت ؛ ولتكن نيتك من هذا الالتصاق والطواف الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان ...

فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى اظهاراً للاخلاص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة .

الوقوف بعرفة : اذكر حين ترى ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات في عرفات الموقف الرهيب يوم القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول ، وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل ، فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة ، فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة .

رمي الجمار : أقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية لله ، وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ العقل والنفس فيه ، ثم أقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله ، ولا تقل عرض الشيطان إلى ابراهيم عليه السلام ولم يعرض لي ، فلم أرجمه ؟

اعلم أن ذلك من وساوس الشيطان ، ليفتنك عن الرمي ، فكلنا معرض لهذا الرجيم يفتنه في عبادته على الدوام .

ذبح الهدي : اعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكل الهدي فيه ، زيادة على ذلك مساعدة الفقراء .

زيارة المدينة : انزل فيها المولى جل شرعه ، وفيها مثوى سيد المرسلين ﷺ وجل الصحابة الذين جاهدوا في سبيل رفع كلمة الله عالية ، فاحرص أن تشبه بهم بل بنبيك عليه الصلاة والسلام . ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا ، وانك من رؤيته الغالية في الآخرة على خطر .

وربما لا تراه إلا بحسرة ، وقد حيل بينك وبينه بسوء عملك ، وتمسكك بالبدع والأوهام على الرغم من تنبيه المرشدين الصادقين لك بتركها وهجرها كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث متفق عليه : « يرفع الله اليّ أقواماً فأقول : يا رب أصحابي . فيقول : لا تدري ماذا أحدثوا بعدك . فأقول « بعداً وسحقاً » .

من مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي

الثمن ق . س		
١٠	ارتباط قضية فلسطين بالوعي الاسلامي	للأستاذ أبي الحسن الندوي
٤٠	المنهج الاسلامي الجديد للتربية والتعليم	للأستاذ أبي الأعلى المودوي
٧٥	تفسير سورة الحجرات	(علق عليه الأستاذ محمود مهدي)
٧٥	تفسير جزء تبارك	
٥٠	تفسير جزء عم	
١٠٠	مُذاعات في الاسلام	
١٠٠	سبل الاسلام	للأستاذ أحمد مظهر العظمة
٨٠	نحو حياة مُثلى	
٨٠	خواطر في الأدب	
١٢٥	دعوة المجد (ديوان شعر)	
٢٠	الاسلام وتعدد الزوجات	
٥٠	إيمان الصافي (شعر)	للأستاذ أحمد الصافي النجفي
٢٥	بلاط الشهداء (قصيدة)	» بهيج محمد شعبان
٢٥	فتح الأندلس (»)	» » » »
٢٥	تعليم الإناث وتربيتهن	» تقي الدين الهلالي
٣٠	مولد المصطفى ﷺ	» خير الدين وانلي
٧٠	معجم الجيب في تفسير غريب القرآن	» عبد الرءوف المصري
١٠٠	أهداف الصهيونية	» فريدريك زريق
٢٠٠	نظرة العجلان في أغراض القرآن	
١٥٠	تذكرة الحج والعمرة على المذاهب الاربعة	للأستاذ محمد بن كمال الخطيب
٥٠	البهائية	
٥٠	طرابلس برقة أو عمر المختار (مسرحية)	

الثمن ق.س

٤٠	أومن بالله ، لماذا ؟	للأستاذ محمود مهدي استانبولي
٤٠	الاشتراكية الاسلامية (مجلة)	
٧٠	عظمة الاسلام (مجلة)	
٢٥	نبي يُعشق	
٢٠	التربية الجنسية	
١٧٥	كيف نربي أطفالنا	
٥٠	هذا ... أو الجنون (ردّ ونقد)	
٣٠	مشكلات الغرب وكيف يحلها الاسلام	
٣٠	من مذكراتي في الحج	
١٥	رسالة عن الاسلام (بالانكليزية)	

٤٠ لفتة الكبد إلى تعليم الولد (الأصل لابن الجوزي) للأستاذين محمود مهدي الاستانبولي وناصر الدين الألباني

٢٠	خطبة الحاجة	للأستاذ ناصر الدين الألباني
٢٥	التبرج	للسيدة نعمة
١٠	تفسير سورة العصر	للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

٨٠٠ كل مجموعة من مجموعات سنيّ المجلة ابتداء من عامها ١٥ ، ولدى إدارة المجلة مجموعات شبه كاملة منذ عام المجلة الأول ، وثمن كل جزء عشرون قرشاً .

سلسلة عظماء الاسلام (لمكتبة الطفل)

٢٠	محمد رسول الله ﷺ	(١) (طبعة ثانية)	للأستاذ محمود مهدي استانبولي
١٥	خالد بن الوليد	(٢)	» محمد خير الدرع
٢٠	عمر بن الخطاب	(٣)	» محمود مهدي استانبولي
١٥	المثنى	(٤)	» سالم السيد سعيد
٢٠	ابو بكر الصديق	(٥)	» محمد احمد عز الدين
٢٠	علي بن أبي طالب	(٦)	» أحمد مظهر العظمة
١٥	سعد بن أبي وقاص	(٧)	» سالم السيد سعيد